

العنوان:	تنمية الإنسان في القرآن
المصدر:	مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت
المؤلف الرئيسي:	الربيع، وليد بن خالد
المجلد/العدد:	س54, ع621
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	فبراير
الصفحات:	64 - 66
رقم MD:	796680
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	التنمية البشرية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/796680

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أ.د. وليد خالد الربيع
أستاذ الشريعة في جامعة الكويت



تنمية الإنسان في القرآن

كان مفهوم التنمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عقد الثمانينات قاصرا على كمية ما يحصل عليه الفرد من سلع وخدمات مادية، ولكن مع تدشين مفهوم التنمية البشرية سنة ١٩٩٠م عندما تبناه برنامج الأمم المتحدة للإنماء، أصبح الإنسان هو صانع التنمية وهدفها.

ويقوم هذا المفهوم على أن: «البشر هم الثروة الحقيقية للأمم، وأن التنمية البشرية هي عملية توسيع خيارات البشر».

فالتنمية البشرية لا تنتهي عند تكوين القدرات البشرية مثل: تحسين الصحة وتطوير المعرفة والمهارات؛ بل تمتد إلى أبعد من ذلك حيث الانتفاع بها سواء في مجال العمل من خلال توفر فرص الإبداع، أو التمتع بوقت الفراغ، أو الاستمتاع باحترام الذات وضمان حقوق الإنسان ونحو ذلك.

فمصطلح التنمية البشرية يؤكد أن الإنسان هو أداة وغاية التنمية، حيث تعد التنميةُ البشريةُ النموّ الاقتصادي وسيلة لضمان الرفاه للسكان، وما التنمية البشرية إلا عملية تنمية وتوسيع للخيارات المتاحة أمام الإنسان باعتباره جوهر عملية التنمية ذاتها، أي: أنها تنمية الناس بالناس وللناس (١).

ويتضح من هذا أن النظم البشرية تعنى بالجانب الحسي والفكري للإنسان، وتستند إلى نتاجه العقلي والاجتماعي كمصادر للتنمية البشرية، في حين أن القرآن الكريم تناول هذا الجانب على مستوى لا يضاهَى من الشمولية والعمق والدقة في معالجة النفس الإنسانية والعناية بتزكيتها لأعلى المراتب.

فالقرآن الكريم قد اعتنى بالإنسان عناية كبرى، تناولت خَلقه، وهدايته، وتحقيق مصالحه، ودرء المفاسد عنه في الدارين، فالله سبحانه

وتعالى أكرم بني آدم وفضلهم على سائر خلقه فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

قال الشيخ ابن سعدي: «وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره؛ حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير» (٢).

فالقرآن الكريم قد وضع أسس تزكية النفوس وتهذيبها وهو ما يقابل مفهوم التنمية البشرية، وشرع لها أحكاما دقيقة، ونظما سديدة تضمن لها السعادة والسيادة والريادة كما عبر عنها بالحياة الطيبة كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

وقد دلت الآية الكريمة على أن الإيمان والعمل الصالح هما ركنا الحياة الطيبة التي وعد الله سبحانه بها عباده.

فأهم أسس التنمية البشرية في الإسلام هو ترسيخ الإيمان بالله تعالى ربا وإلها، وإخلاص الدين له وحده انقيادا وطاعة، والبراءة من كل الأديان المحرفة والمعبودات الباطلة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢،١٦٣).

والقرآن الكريم لم يخرج عن هذا الأصل، فالمتأمل فيه يجد أن غالب آياته وسوره تدور حول العقيدة وتقرير التوحيد، وبيان حقوقه ولوازمه وجزائه، والتحذير من ضده ونواقضه.

ومن أعظم أسس التنمية البشرية في الإسلام العمل الصالح، ففي أكثر من تسعين موضعا في القرآن الكريم يذكر العمل الصالح؛ طلبا له، وحثا عليه، وذكرا لفضله، ومدحا لأهله، وبيانا لجزائهم في الدنيا والآخرة.

والعمل الصالح شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة.

والعمل الصالح سبب الاستخلاف في الأرض كما قال عزوجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور:٥٥).

من الأسس المهمة في التنمية البشرية العلم الشرعي؛ وذلك لأن العلم أساس الإيمان والعمل الصالح، ومنطلق الحضارة والمدنية، وقد أمر الله تعالى بتحصيل العلم، ومدح العلماء وطلبة العلم، وذم الجهل وأهله، وذلك في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، مما يدل على مكانة العلم وأهميته وعظيم أثره في الفرد والمجتمع.

كما أن الأخلاق الحميدة والسلوك القويم من أكبر الأسس والمنطلقات التي ترتكز عليها التنمية البشرية، فتزكية النفوس وتهذيبها من مقاصد البعثة الشريفة كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «ويزكيهم بأن يفصل لهم الأخلاق الفاضلة، ويحثهم عليها، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، ويعلمهم علم الكتاب والسنة المشتمل على علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية من أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقا، وأحسنهم هديا وسمتا» (٣).

ومن أسس التنمية البشرية في الإسلام الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالإسلام دين عالمي؛ فهو ليس محددا بمكان معين، ولا موسميا مرتبطا بزمان معين، بل إنه يتجاوز حدود المكان والزمان ليحمل الهداية للبشرية جمعاء كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ:٢٨).

وقال سبحانه وتعالى مبينا رسالة

الأمة الإسلامية: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤).

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحا ومحبة للخير ودعوة وتعليما وإرشادا، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وجمعا بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان» (٤).

ولا تكمل التنمية البشرية في الإسلام إلا بالبعد عن نواقضها ومنقصاتها، تلك الصفات التي تهدم مقاصد الإسلام من تحقيق العبودية لله تعالى وحده، وترسيخ الأخوة الإيمانية، والنهوض بالمجتمع المسلم إلى مراتب الكمال الإنساني والتحضر العمراني، ولهذا اعتنى القرآن الكريم بالنهي والتحذير من عقائد فاسدة، وأخلاق ذميمة، وأفعال قبيحة لما لها من أثر خطير على الفرد والمجتمع والدولة.

ومن أعظم مظاهر الانحراف الكفر والشرك، فقد كثر ذكرهما في القرآن الكريم لما لهما من آثار خطيرة، وعواقب وخيمة على دين المسلم ودنياه وآخرته، فالله تعالى نهى عن الكفر به فقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٨).

واتباع الهوى من أكبر عوائق التنمية البشرية، فاتباع الهوى هو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي، أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل، أو رجوع إلى شرع، أو تقدير عاقبة (٥).

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن كل موضع ذكر الله تعالى فيه الهوى؛ فإنه يأتي به في معرض الذم له ولمتبعيه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه» (٦)، ولهذا فإن النبي ﷺ جعل اتباع الهوى من المهلكات في قوله: «وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» (٧).

ومن مظاهر الانحراف التي حذر منها القرآن الكريم عباد الله المؤمنين الذنوب والمعاصي؛ وقد جاءت النصوص الكثيرة تحذر من الذنوب، وتبين عقوباتها في الدنيا قبل الآخرة، وتضرب الأمثال بما أصاب الأمم الماضية بسبب ذنوبها، وتأمر الناس بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ لما في ذلك من النجاة في الدنيا والآخرة، ورفعة الدرجات عند الله تعالى في جنات النعيم فمن ذلك قوله عزوجل: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء:١٤).

ومما نهى عنه القرآن الكريم الأخلاق المذمومة لأنها تناقض تزكية النفوس وتهذيبها فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠).

وهناك نواح كثيرة وجوانب عديدة لا يتسع المقام لذكرها تؤكد تناول القرآن الكريم لمفهوم التنمية البشرية بصورة شاملة، ومعالجة دقيقة، تمس أعماق النفس الإنسانية، فتصحح عقيدتها، وتقوم عبادتها، وتهذب أخلاقها، وتحميها من عوائق الطريق، وعقبات السبيل، لتحيا الحياة الطيبة التي وعد الله تعالى عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

الهوامش

١- تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP www.un.org، وأساسيات التنمية الإدارية والاقتصادية في الوطن العربي، د. أحمد يوسف دودين ص ٢٨٦، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط ١، ٢٠١١م.

٢- تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٣ باختصار.

٣- تيسير الكريم الرحمن، ص ١٢٠٠.

٤- تيسير الكريم الرحمن، ص ١٤٣.

٥- نوح، د. السيد محمد، آفات على الطريق ٢/٣٣.

٦- ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ١٨.

٧- أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ٦/٣٥١، حديث (٥٧٥٠)، وقال الألباني: «حسن لغيره»؛ كما في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٤٥٣).